موقف المثقف المصري من قضايا التحرر العربي
عبد العزيز البشري نموذجًا

د . إيمان عامر

أستاذ التاريخ الحديث المساعد

كلية الآداب . جامعة القاهرة

موقف المثقف المصري من قضايا التحرر العربي
عبد العزيز البشري نموذجاً

تتناول هذه الدراسة موقف المثقف المصرى تجاه قضايا التحرر العربي وتحديداً حركة الجهاد الليبى ضد الاحتلال الإيطالى للبلاد، وذلك من خلال خطابات متبادلة بين كل من المجاهد الليبى الكبير عمر المختار وخصمه الاستعمارى الإيطالى الماريشال جرازيانى.

والواقع أن هذه الخطابات ليست إلا مقالات لواحد من رموز الثقافة فى مصر وهو الشيخ عبد العزيز البشرى، حيث تمثّل شخصية كل من عمر المختار وجرازيانى وأدار الحوار بينهما.

وفكرة الخطابات المفتوحة تمثل رصداً للأفكار والقضايا المؤثرة والمُحركة للأحداث فى عصرٍ ما، فقد قرأنا مثل هذه الخطابات فى أعقاب أحداث سبتمبر عندما وجه فريدمان خطاباته المفتوحة إلى الرئيس الأمريكى چورچ بوش عبر الصحف العالمية لمناقشة المرحلة الجديدة التى أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية على دخولها فى مواجهة الآخر والذى أطلقت عليه اسم (الإرهاب)، ورد كبار الصحافيين المصريين على هذه الخطابات لمناقشة خطورة المرحلة التى يعيشها واقعنا العربى والإسلامى.

وهكذا كان البشرى سابقًا لعصره فى تقمُص دور الشخصيات التى لعبت دورًا فى تاريخ المنطقة.

البشرى: الناقد الساخر

يُعتبر عبد العزيز البشرى من أمتع الكُتاب المصريين الذين كان لهم دور كبير فى تحليل الأدوار الاجتماعية وانتقاد التقاليد البالية التى كان يعيش فيها المجتمع فى هذه الفترة[1].

وقد وُلِّد البشرى فى حى البغالة بمصر عام ١٨٨٦ ونشأ فى بيت عريق

بالعلم والدين وكان أبوه الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر، ودخل عبد العزيز الكُتاب وهو فى سن الصبا وتعلم القراءة والكتابة على نحو ما كان يفعل أقرانه فى ذلك الحين، ومكث فيه فترة طويلة حفظ فيها القرآن الكريم، ثم انتقل إلى مدرسة إبتدائية ولكن أباه أبى إلا أن يدخل الأزهر وأن يدرس علوم الدين. وكان يومئذ شيخ الأزهر لأول مرة، وبينما كان عبد العزيز فى الأزهر تعلق بالأدب وأحبه حتى تخرَّج عام ١٩١١[٢]. وفيما بعد عمل فى نظارة المعارف قبل أن يتولى مناصب قضائية عديدة فى المحاكم فى الجيزة وأسيوط والزقازيق وإسنا، وأصبح بعد ذلك مشرفًا عامًا على كلية اللغة العربية. كتب البشرى إلى جانب المقالات للكشكول والسياسة الأسبوعية كُتبًا عديدة من بينها (فى المرآة)، (المختار)[٣]، و(التربية الوطنية) و(قطوف) وقد نظم الشعر فى شبابه ثم عدل عنه إلى النثر[٤].

وجديرٌ بالذكر أن مؤلفات البشرى - ما عدا كتاب التربية الوطنية - قد جُمِعت من مقالاته سواء أثناء حياته مثل كتاب "فى المرآة" أو كتاب "المختار" فى جزئين، أو بعد مماته مثل كتاب "قطوف" فى جزئين.

أما كتابه "التربية الوطنية" فقد نُشِّر عام ١٩٢٨ وهو كتاب مدرسى اهتم فيه البشرى بتناول أحوال الأمة والحقوق السياسية للمواطن ودور الحكومات فى المحافظة على حقوق المواطن وحرياته[٥]. وقد سلك البشرى فى كتابه هذا الأسلوب الحوارى بين الأستاذ والتلميذ، لأنه وجد هذه الطريقة لا تُنفِر الطالب من المعرفة[٦].

وقد تنقل البشرى فى عدة وظائف فى وزارة المعارف وعندما أُنشئ المجمع اللغوى ١٩٣٢ عُيِّن مراقبًا عامًا له، إلى أن توفى فى ٢٤ مارس ١٩٤٣[٧].

وكان البشرى يمتاز بروح الدعابة والسخرية[*] مما أهلَّه ليكون أديبًا بارزًا من أدباء السخرية فيُعبِر بذلك عن روح الإنسان المصرى الذى يستخدم الفكاهة سلاحًا من أسلحة المقاومة للشدائد والأزمات[٨].

وقد تأثر البشرى بكتب الجاحظ الذى أحبه بشكل خاص واعتبره المثل الأعلى له، حتى قيل أنه تلميذ الجاحظ وحامل قلمه فى العصر الحديث[٩]. ولعل ذلك يرجع إلى ما اتفق فى شخصية البشرى مع شخصية الجاحظ وأسلوبه الأدبى من حب المرح والسخرية الهادفة الناقدة فى إطار فلسفى اجتماعى راقى. وتأصل الأسلوب الفكاهى الساخر للبشرى على أسلوب الجاحظ فى مدحه ونوادره وقد استطاع بقلمه الساخر وأسلوبه الكاريكاتيرى أن يجعل له جمهور كبير يُتابع مقالاته بشغف[١٠].

فقد اعتقد البشرى - وكان محقًا فى ذلك - أن النكتة فن جميل[١١] من فنون الأدب تُكسِب الأسلوب روعة وجمال، فكان يلجأ فى تحليله للشخصيات إلى الأسلوب الكاريكاتيرى شأنه فى ذلك شأن المصور الكاريكاتيرى حيث يعمد إلى الموضع النائى من خلال المرء فيزيد فى وصفه ويُبالغ فى تصويره بما يتهيأ له من فنون النكات[١٢].

ولمزيد من التفصيل نذكر كلمات البشرى عندما صدرت "مصباح الشرق" عام ١٨٩٥ لإبراهيم المويلحى حيث يجد البشرى أنها: "استحدثت لونًا طريفًا من النقد لا عهد لأدب مصرى به بل لا عهد به للأمة العربية جمعاء، وهذا النوع من النقد يقوم، فى الجملة، على التماس الجانب الضعيف فى أثر الرجل، فيعرضه القلم فى صورة (كاريكاتيرية) يزيد فى تشويهها ما يتوافر لذهنه الدقيق من ألوان التشبيه، وما يحضره من فنون الاستشهاد والتمثيل"[١٣].

كانت هذه هى شخصية الشيخ عبد العزيز البشرى التى توفر لها مناخ ملائم لكى تبرز معالمها أكثر وضوحًا، ذلك المناخ الذى دفع البشرى إلى كتابة مقالاته التى يظهر فيها تعاطفه مع عمر المختار الذى تصفه الكلمات قائلة:

«تملكنى شعور طاغ بأننى أمام رجل يجسد الزعامة بأعمق معانيها وأنا أكتب كلماتى هذه بعد سنوات عديدة، لازلت أشعر بالأثر العميق الذى تركه فى نفسى»[١٤]. والمفارقة الغريبة هنا والتى تكشفها هذه الكلمات أنها ليست لواحد

من رفاقه أو معجبيه وإنما هى كلمات القائد الإيطالى جرازيانى العدو الأول له. ولا شك أن الذى دفع هذا القائد لهذا الوصف إنما ينبع من عظمة وجلال تلك الشخصية الفريدة.

ترى ما هو سر هذا الكفاح العبقرى للشعب الليبى؟ وما هو سر هذا الهوس الإيطالى بليبيا؟!!

ربما يكمُن سر الكفاح الليبى فى تلك الزوايا السنوسية التى بدأت فى الانتشار على يد محمد بن علىّ السنوسى وابنه محمود السنوسى، وقد تبنت هذه الزوايا الدعوة السنوسية كواحدة من الحركات الاصلاحية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر واتفقت مع غيرها من الحركات الاصلاحية فى ضرورة التجديد فى الدولة العثمانية(١٥).

وقد أرسل السنوسى الدعاة المبشرين إلى أواسط أفريقيا، وسرعان ما انتشرت الدعوة السنوسية نظرًا لاعتمادها أولاً على الجانب الروحى الذى بلا شك له قوة سحرية إضافةً إلى اهتمامها بالجوانب الأخرى من تعلم فنون القتال، وكانت وسائل السنوسى الكبير فى ذلك شراء العبيد وعتقهم بعد أن يعتنقوا الإسلام فيعودون إلى قبائلهم لنشر الدين الإسلامى بينهم(١٦).

فى هذه الأجواء التى تُنبئ بميلاد بطل وُلِّدَ عمر المختار لأبوين عربيين عام ١٨٦٢ فى منطقة البطنان وينتمى إلى قبيلة المنفسة - وهى واحدة من أكبر قبائل إقليم برقة (١٧) ونشأ المختار فى البادية وأحاطه مناخها الاجتماعى وبيئتها الصحراوية بكل ما تحمله من كبرياء وعزة نفس.

وقد درس القرآن ومبادئ اللغة العربية فى زاوية جترور ثم زاوية الجغبوب التى تعلم فيها أيضًا بعض المهن والحرف اليدوية كالنجارة والحدادة والبناء والزراعة، كما تلقى بعض التدريبات العسكرية وفنون القتال(١٨).

وقد ظهرت عليه فى الفترة التى كان فيها طالبًا فى الجغبوب صفات القيادة والقدرة على إقناع الآخرين وقد انقطع عن الدراسة عام ١٨٨٦ ولكنه بقى فى

الجغبوب يساعد القائمين على أمور الزاوية ويُنشئ الزوايا ويحل نزاعات القبائل[١٩].

وقد أكسبه الترحال الطويل معرفة بدروب ومسالك الصحراء والطرق التى يجتازها من برقة إلى مصر والسودان وإلى الكفرة والجغبوب.

أطماع إيطاليا فى ليبيا

تلك كانت نشأة عمر المختار، بينما على الجانب الأخر تقف إيطاليا دولة بحرية تطل سواحلها على البحر المتوسط، تنظر عبر هذا البحر متطلعة إلى الشاطئ الآخر لتكون لها مستعمرات فى شمال إفريقيا توازن الاحتلال البريطانى لمصر والفرنسى لتونس ولم يبق سوى ليبيا فتطلعت إليها[٢٠].

فلا شك أن احتلال إيطاليا لليبيا كان وراؤه عوامل عدة منها الاقتصادية والسياسية أو حتى الادعاءات التاريخية، وفى أكتوبر ١٩١١ بدأ الاحتلال الإيطالى لليبيا ثم صدر المرسوم الإيطالى الملكى فى ٥ نوفمبر ١٩١١ ليجعل من ليبيا جزءًا من إيطاليا وتلاه عدة مراسيم وقوانين أوضحت سياستها العامة فى ليبيا[٢١].

وقام موسولينى فى أكتوبر ١٩٢٦ بزيارة إلى طرابلس، التى يمكن أن يُحدَّد بها تاريخ الانطلاقة الكبرى نحو تنفيذ خطة العمل الفاشى على المسرح السياسى فى منطقة البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا. وكانت المرة الأولى التى يقوم فيها رئيس للحكومة الإيطالية بتفقد أحوال إحدى المستعمرات بالإضافة إلى الهالة الدعائية والبهرجة التى أُحيطت بالزيارة فى إيطاليا بدايةً من تعبئة كبار أعضاء الحزب الوطنى الفاشى وكانت شيئًا مهولاً لم يسبق له مثيل بالإضافة إلى خطورة الخُطب التى ألقاها "الدوتشى" فى طرابلس، والكلمة التمهيدية التى ألقاها وهو على متن السفينة "كافور" وقال فيها من بين ما قال: "نحن ننتمى إلى البحر الأبيض المتوسط ومصيرنا مرتبط بالبحر"[٢٢].

وعندما أُختير الجنرال جرازيانى لتولى قيادة العمليات فى برقة، كانت اللعبة

بالنسبة لإيطاليا قد وصلت إلى مرحلتها النهائية، فالشئون المدنية والعسكرية والسلطات المركزية الاستعمارية قد أخذت تقترب من الاستقرار الشامل والنهائى وذلك بتخصيص وتفوق تقنى ضخم لا يترك للعدو إلا هامشًا تافهًا للتصرف[٢٣].

ولعل كتاب "إعادة السلام إلى برقة" بفضل انتشاره الواسع سيظل الوثيقة العامة الأكثر صراحة ووضوحًا بشأن طريقة إعادة احتلال ليبيا التى عكست فى الكامل العقيدة الفاشية ونفذتها على أرض الواقع[٢٤].

فقد كانت الحركة الاستعمارية الإيطالية فى ليبيا منذ قيامها والعقيدة التى بُنيَّت عليها واستراتيجيتها المتذبذبة فى مراحلها المرتكزة على استيطان مضطرد فى المستعمرة ضمن توسع جغرافى سياسى فى حوض البحر المتوسط[٢٥].

وهكذا كان الاستعمار أهم الحلول للمشاكل المستجدة التى كانت تعترض طريق توطيد أركان الدولة ورفع مستوى حياة المجتمع الإيطالى وشأنه ليكون عند مستوى متطلبات العصر.

وكان ملء أراضى المستعمرات بالمستوطنين الإيطاليين كحل لمشكلة تكاثر السكان فى الوطن الأم باستخدام منتهى القسوة والوحشية ضد سكان هذه المستعمرات، شأنه فى ذلك شأن كل استعمار استيطانى[٢٦].

وقد اتضح فيما بعد أن أيديولوجية إيطاليا الاستعمارية واستراتيجيتها خاصةً فيما يتعلق باستعمار ليبيا كانت عقيمة فكريًا ومنهجيًا، وأن مظاهر الاهتمام بأوضاعها وخصائصها الطبيعية لم تكن إلا انعكاس لعقيدة مصطنعة فى معظمها[٢٧].

أما الثقافة الإيطالية فإنها لم تقدم للساحل أو تأخذ منه إلا النزر اليسير الذى يكاد لا يُذكر. ومردَّ ذلك للطريقة التى مارسها الحكم الفاشى طوال ثلاثين عامًا من السيطرة وعدم الاعتراف للأهالى العرب بشخصية وكيان ثقافى

مستقلٍ ووطنى الطابع، وكذلك الطريقة التى تعاملت بها مع حركة المقاومة الوطنية[٢٨]. ففى تقرير مرفوع من جرازيانى إلى باوليو مسئول وزارة المستعمرات، يفيد بأن (الأعمال التى يقترفها رجال عمر المختار، مصدرها جميعًا قصور القوات المسلحة الإيطالية رغم تفوقها فى العدد والسلاح)[٢٩].

حركة الجهاد الليبى

وإذا عُدنا إلى الشاطئ العربى من البحر المتوسط نرى المشهد العربى وقد وضح فيه مناخ الجهاد الذى أوجدته الدعوة السنوسية كما سبق وتحدثنا. وبدأ استفار الجهاد الليبى بمجرد غزو الإيطاليين للبلاد واتخذ المختار من منطقة "دفنة" مجالاً لنشاطه الواسع[٢٩]. وبدا المختار وكأنه قد استمد من النضال شبابًا جديدًا وحيوية جديدة فهو فى شيخوخته أشد قوة وبأسًا من قبل حتى صار اسمه مبعث رعب لدى المستعمرين القساة وأيضًا مبعث إعجابهم حتى أن أحد صحافييهم قال عنه: أنه أشجع الرجال وأجرأهم وأصدقهم فى التجدد والإخلاص[٣١].

وتميزت حركة الجهاد المسلح بأنها أصبحت "مقاومة شعبية شاملة" وكانت تلك ضرورة من ضرورات الجهاد خاصة بعد تسلم الحزب الفاشستى لزمام السلطة فى إيطاليا وظهور اتجاه عسكرى عنيف يُطالب بضرورة إحكام السيطرة على تلك المنطقة المواجهة لبلادهم.

وكان النظام الذى استخدمه عمر المختار فى جهاده العسكرى هو نظام الأدوار وهى المعسكرات وربما أُطلق عليها هذا الاسم لأن المجاهدين كانوا يأتون إلى هذه المعسكرات بالتناوب[٣٢]. وأتاح هذا النظام تدعيم حركة الجهاد فكان يتم تعويض الشهيد بمقاتل آخر من نفس قبيلته، واعتمدت هذه الأدوار على مصادر تمويل داخلية حيث كانت فى معظم الأحيان تُعانى من صعوبة التنقل والحركة أو إغلاق الحدود مما يمنع عنهم الحصول على مساعدات من الخارج[٣٣].

وقد واجه الشيخ المجاهد المختار، جرازيانى هذا القائد التترى فى معارك عديدة وطبَّق عمر المختار فى معاركه مبدأ الهجوم بدل الدفاع فكان يُلاحق قوات العدو فى كل مكان مُعتمِدًا فى ذلك على تعايشه هو ورفاقه مع بيئتهم، حيث كانوا أكثر دراية بطبيعة الأرض التى يحاربون عليها. ومن هذا المُنطلَّق لجأ عمر المختار وقواته إلى التحصن فى الأماكن والمناطق الوعرة التى يصعُب على الدبابات اجتيازها والتى كان من أهمها منطقة وادى الكوف فى الجبل الأخضر[٣٤].

وقد أدت الخسائر المتلاحقة التى مُنىَّ بها الجيش الإيطالى إلى استقالة "فيزونى" وزير المستعمرات فى الحكومة الإيطالية وتم تعيين المارشال "بادوليو" حاكمًا عسكريًا. وعُقِد اجتماع "سيدى رحومة" فطرح عمر المختار شروطه لإيقاف القتال والتى تمثلت فى ضرورة وجود ممثلين عن الحكومتين المصرية والتونسية أثناء عقد المعاهدة، وإطلاق الحرية للمجاهدين فى حمل السلاح وجلبه من الخارج، وأن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى دوائر الحكومة، وأن تُعيد إيطاليا جميع الأملاك التى تمت مصادرتها. وعندما فشل الاجتماع حاول الإيطاليون رشوته بالمال مقابل وقف القتال فرفض المختار فى إباءٍ[٣٥].

وبعد خوض عدة معارك، كان أهمها الهوارى والهويريرى، وقع المختار فى الأسر وجاءت الفرصة لجرازيانى ليكون البطل الذى نجح فى تدمير أسطورة عمر المختار، فكم تجرعت إيطاليا كأس الهوان نتيجة لسخرية الصحافة العالمية من فشلها العسكرى فى ليبيا، إذ كيف يعجز جيش أوروبى حديث بكل معداته عن التغلُّب على حفنة من البدو.

وعرض الإيطاليون على عمر المختار، بعد أسرِه، العفو الشامل مقابل التوقيع على نداء خطى للمجاهدين يدعوهم للكف عن القتال وتسليم أنفسهم وأسلحتهم، لكن المختار رفض وفضَّل الموت على أن يصدر منه مثل هذا النداء، فقد رد على جرازيانى «نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد

الآخر ولا نُسلِّم أو نُلقى السلاح»[٣٦].

ويذكُر جرازيانى أثناء لقائه بالمختار أنه عثر على نظاراته فى أرض إحدى المعارك وبدا له أن فقدان هذه النظارات من ذلك الشيخ الطاعن فى السن ربما كان السبب الذى أدى إلى وقوعه فى الأسر، وعرض النظارات عليه فرد المختار "بأنه أضاعها فى معركة وادى السابتة"، فقال جرازيانى: "لقد تأكد لىَّ منذ اليوم الأول الذى عثرنا فيه على النظارات بأنك لن تلبث حتى تقع فى أسرى؟!"[٣٧].

وهناك ملحمة شعبية تغنت بها أحياء روما الشعبية بعد إعدام عمر المختار وعنوانها القبض على "متارى" (أى المختار) وتقول:

جـــرازيانـى: انظر هذى نظارتك

مـــتـــارى: أعطينهـــا، أريدها

جـــرازيانى: كـــلا، غـــيـــر مـــمكن

مـــتـــارى: لكن هذه خـــدعـــة

جرازيانى: أصحيح؟! انتظر حتى أُقدمك للمحاكمة

وفـى الـيـــــوم الـتـــــالـى

على مشهد من عشرين ألف شخص

هـات فى سلوق مـــــوتـة فـــأر

ذلك الشخص الذى كان يعيش على العدوان[٣٨]

مصر: مساندة الجوار

ولنتحرك قليلاً نحو الشرق لنرى كيف كان المشهد المصرى إزاء ذلك، فنجد مصر تلعب دورًا مهمًا ورئيسيًا فى مساندة حركة الجهاد الليبى.

ومن المعروف أن مصر كانت أثناء الغزو الإيطالى لليبيا تحت الاحتلال البريطانى، ولذا فإن الموقف المصرى الحكومى اتخذ شكلاً محايدًا من هذا

النزاع الدائر حيث عيَّن الإنجليز مأمورين أجانب بدلاً من المصريين على الحدود الغربية، وشُدِدت الرقابة على خفر السواحل لمراقبة حدود مصر الغربية، وبذلت الحكومة المصرية تحت ضغط الاحتلال كل السُبل لقطع الاتصال بين مصر وليبيا، كما مُنِع أهل برقة من دخول الأراضى المصرية وفُرِضت على الحدود رقابة صارمة لدرجة أن تعطلت التجارة بين طرابلس ومصر، وأُرغِمت كل قافلة على العودة بما تحمله من متاجر إلى ليبيا، وكان لهذا أثره فى أن قامت ثورة عنيفة على الوزارة المصرية تزعمتها الصحافة الوطنية وأتهمتها بالخيانة والفساد(٣٩).

وتطورت الأمور بعد عقد صلح لوزان ١٩١٢ بين تركيا وإيطاليا فأصبح موقف مصر حائرًا بين الوفاء بإلتزامات التبعية للدولة العثمانية وبين ما يفرضه الاحتلال البريطانى عليها من قيود(٤٠).

واقتضى وضع مصر أن تقف على الحياد تحت ضغط سلطات الاحتلال، ورغم أن مصر من الناحية القانونية كانت جزءًا من الإمبراطورية العثمانية إلا أنها من الناحية الفعلية كانت جزءًا من الإمبراطورية البريطانية(٤١).

ويُذكر أن حدود مصر الغربية لم تُحدَد تحديدًا قاطعًا حتى فرمان ١٨٤١ لم يُحدِد الحدود بدقة بين مصر وليبيا، ويذكر بعض المؤرخين أنه كانت هناك خريطة ملحقة بهذا الفرمان ولكنها فُقِدت فى حريق الإسكندرية عام ١٨٨٢، ولم تظهر مسألة حدود مصر الغربية إلا بعد الاحتلال البريطانى لمصر وبعد الاحتلال الإيطالى لليبيا(٤٢).

غير أن الأمر لم يكن بمثل هذه السهولة، فصحراء ليبيا هى إمتداد طبيعى للأراضى المصرية، ثم أن الروابط الدينية والعرقية تجعل من الصعب التفرقة بين عرب البادية المصرية وعرب طرابلس. وإزاء المقاومة الليبية سعت إيطاليا إلى تعديل الحدود الطرابلسية على حساب مصر حتى تكون مسيطرة على حركات السنوسيين على الحدود بين البلدين(٤٣).

ويبدو أن بريطانيا قد وافقت على إعطاء إيطاليا كل ما تريده فى ليبيا - أى تعديل الحدود المصرية الليبية - على حساب مصر، ولأن الشعب الإيطالى رأى أن مؤتمر فرساى لم يعط إيطاليا ما تريده فقد تمت إقالة حكومة أورلاندو فى يونيو ١٩١٩، وجاءت الحكومة الجديدة وأسندت وزارة الخارجية إلى تيتونى الذى حمل مطالب إيطاليا إلى المؤتمر بعد ما رأى ما حل بالوزارة السابقة، واستمر يتمسك بجغبوب، فقد توقفت كل آمال إيطاليا عند هذه الواحة المصرية ... المصيرية لإيطاليا[٤٤].

وقد ركز الإيطاليون كل همهم فى الاستيلاء على واحة الجغبوب باعتبارها المركز الرئيسى للسنوسية، فرغم كونها أراضى مصرية إلا أن إيطاليا أعلنت أن الجغبوب ملك لها وداخل أراضيها، وكانت تعتبر الاستيلاء على هذه الواحة بمثابة وسيلة للقضاء على الحركة السنوسية فهى مركز مهم للحركة كما يوجد بها ضريح السيد محمد بن علىّ السنوسى الكبير مؤسس الحركة، فكان أن أدخلت إيطاليا الواحة ضمن الحدود البرقاوية تبعًا لاتفاق ديسمبر ١٩٢٥ مع مصر، ونجحت فى احتلالها ١٩٢٦[٤٥].

وكان لسقوط الجغبوب فى أيدى الإيطاليين أثره فى إضعاف المقاومة الليبية التى كانت تجد فى الجغبوب ملاذًا ومأوى ومورِدًا لا ينضب من الدعم الواصل إليها عن طريق مصر، وبعد سقوط هذه الواحة فى أيدى الإيطاليين واصل عمر المختار القتال خاصةً بعد وصول جرازيانى إلى ليبيا فى مارس ١٩٣٠ حيث أغلق الزوايا السنوسية وصادر أموالها وأقام حاجزًا من الأسلاك الشائكة المُكهربة بين مصر وليبيا، وترتب على ذلك أن سقطت الكفرة فى يناير ١٩٣١[٤٦]، وكان لسقوطها أثر عظيم فى موقف عمر المختار ذلك أنه على إثر ضياع هذا المعقل الأخير استطاع جرازيانى إغلاق الحدود المصرية إغلاقًا كاملاً، ومنع وصول أية إمدادات للمناضلين[٤٧].

وقد ظهر موقف المصريين واضحًا فى الحملة التى شنتها الصحافة

المصرية لتدعيم المجهود العسكرى لمساعدة إخوانهم فى ليبيا، وظهرت لجان كثيرة لمقاطعة التجارة الإيطالية والإضرار بمصالح إيطاليا الاقتصادية فى مصر، واضطر عدد كبير من الإيطاليين إثر هذه الموجة الشعبية العدائية إلى مغادرة البلاد. وشكّل المصريون جمعيات لحصر أسماء المحلات التجارية الإيطالية بمصر ونشر أسمائها بالصحف لمقاطعتها. كما تركزت الجهود أيضًا على سحب الأموال المصرية المودعة فى بنك روما على اعتبار أن إيطاليا تستغل هذه الأموال لشراء مؤن وغلال وإرسالها إلى طرابلس عبر الحدود المصرية، وأعرب الوطنيون عن مسئوليتهم بحكم الجوار والأخوة عن إغاثة طرابلس لأن سقوطها فى يد المستعمرين يعنى فقدان مصر جانب كبير من قوتها المادية والسياسية(٤٨).

ولا شك أن إعدام المختار كانت له أصداؤه الواسعة فى مصر وبخاصةٍ فى أوساط المثقفين الذين باتوا أكثر اهتمامًا بالقضايا العربية خاصةً فى دولة نشترك معها فى الجوار وهى ليبيا، فقد أُقيمت الصلوات على روحه(٤٩) ورثاه أمير الشعراء أحمد شوقى بقصيدة رائعة تخليدًا لذكراه، كما سبق وألقى قصائده لدعوة المصريين لمساندة إخوانهم الليبيين(٥٠).

عندما أُعلِنت الحرب العالمية الثانية نشط الليبيون فى مصر وعقد رؤسائهم اجتماعًا فى منزل محمد إدريس السنوسى فى الإسكندرية فى أكتوبر ١٩٣٩ للتفاوض مع الحكومة المصرية لتكوين جيش سنوسى للإشتراك فى تحرير ليبيا، وعندما أعلنت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا فى ١٠ يوليو ١٩٤٠ وجد الليبيون فى مصر فرصة سانحة لتحرير بلادهم واسترداد حقوقهم التى اغتصبها الإيطاليون(٥١).

وظهر اهتمام مصر بقضية ليبيا واضحًا عندما بدأ النظر فى إبرام الصلح مع إيطاليا ورومانيا وبلغاريا من حلفاء ألمانيا السابقين، وبذلت مصر قصارى جهدها لتسوية المصالح الليبية(٥٢).

وقد ساهم المصريون فى تدريب الليبيين فى البرلس والسويس والصحراء الغربية والفيوم، وبلغ عدد الذين تم تدريبهم من الليبيين فى مصر نحو ١٤ ألف من الجنود ومائة وعشرين من الضباط(٥٣).

هكذا لمسنا مدى التواصل والمساندة بين مصر وحركة الجهاد الليبى، الأمر الذى بدا واضحًا لإيطاليا حتى أن الملحمة الشعبية الإيطالية تذكر ذلك فى أبياتها فتقول:

انتهى العصيان وانتهى معه كل شئ
قُبِض على متارى(*) وهو يُقاتل
وكان هذا مجدًا للسنيور جرازيانى
سمعته وهو يخاطبه صباح ذلك اليوم:
متارى، من ذا الذى أوقعك فى مثل هذه الخديعة؟
ارتبك متارى وظهرت عليه علامات الحيرة
وأجاب كما لو كان يُصدر أمرًا
"أمرتنى مصر الغامضة بأسرارها...
فرد عليه: ترى، هل قالت لك مصر أن تقتل
الجرحى كلهم، وتبقر بطون جنودنا
وتشحنها بالشعير، أيها اللعين؟(٥٤)

هكذا سخرت روما من مساندة مصر للمختار.

البُعد العربى

كانت المساندة المصرية هى التى أعادت للبشرى ذكريات عمر المختار فى مواجهة جرازيانى، لقد عاش البشرى بفكره وشعوره وحسه الوطنى تلك المرحلة المهمة من تاريخ مصر، ونعنى بها مرحلة تعريبها سياسيًا، تلك الظاهرة التى تُعد حقلاً نموذجيًا لتبين مدى التفاعل بين العروبة والإسلام، وكيف أدى تواصلهما الحميم من منطلَق قومى عربى إلى ضم أكبر قوة إلى العرب بل وجعلها مركز

الثقل بعد أن كان الامتداد المكانى للفكر القومى لا يتجاوز آسيا العربية[٥٥].

فإذا كان تعريب مصر اللغوى والثقافى والحضارى عامةً قد تم فى عهد التعريب الإسلامى بعد الفتح، إلا أن الفترة منذ بداية الثلاثينات حتى عام ١٩٣٦ تُعد فترة تكوينية خصبة من حيث تعريب مصر سياسيًا[٥٦].

فقد كانت اللغة العربية الواحدة إيذانًا بتغير كيفى أحدثته عملية التعريب، كما زودت فصحى العرب ثقافة الآخرين بفيض زاخر من المعارف[٥٧]، كما كان الفتح العربى إلى جانب الأفواج العديدة من الفاتحين واختلاطهم بغيرهم من سكان البلاد المفتوحة قد ساهم فى حركة التعريب[٥٨]. إلا أن حركة التعريب كانت فى أغلب الأحيان ترتبط أكثر ما يكون برابطة اللغة ورابطة الدين الإسلامى.

فقد ظلت مصر طيلة العصر الحديث بعيدة عن التطورات السياسية فى آسيا العربية نظرًا إلى خصوصية تكوّن شخصيتها الوطنية والدولية وطبيعة علاقتها الخاصة بالدولة العثمانية ودول أوروبا. إلا أن الأمر تغيَّر مع بداية الثلاثينات رغم توَّهُم البعض بأنها فترة ذات طابع خاص، حيث وصفها هؤلاء بأنها مرحلة غريبة وبلا هدف فى تاريخ مصر، فعندما تنظر إليها وأنت واقف على أعتاب الأربعينات فإنها تبدو سنوات عقيمة فكل من السياسة والأدب قد ضلّوا طريقهم ...

ولعل الصورة الأكثر وضوحًا وصدقًا هى التى لا يراها هؤلاء، وهى أن هذه السنوات تُمثِل على المستويين العربى والمصرى معًا "الفترة التكوينية الجنينية التى أخصبت فى رحمها بذور التحولات والاتجاهات الجديدة التى ستسود فترة ما بعد الحرب مُعبِّرة عن ميلاد التوفيقية الجديدة فى الفكر العربى[٥٩].

وكانت دعوة المفكر ساطع الحصرى لتأسيس أمة عربية جديدة غير مرتبطة بالضرورة بمفهوم الإسلام[٦٠]. وتزامنت مع دعوة إبراهيم عبد القادر المازني الذى دعا إلى الفكرة العربية من مُنطلَق واقعى سياسى، حيث رأى أننا أحطنا

قوميتنا (مصريتنا) بسياج أشبه بسور الصين العظيم وأهملنا قوميتنا العربية التى (لو كانت وهمًا لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجَّب أن نخلقها خلقًا)[٦١].

الخطابات المفتوحة

ضمن هذه التحولات وقف عبد العزيز البشرى ليتأمل رسالة الأديب فى الشرق ويقول: "وما وقعت لىَّ كلمة الشرق هنا إلا تمثلت مصر أولاً وجمهرة البلاد العربية ثانيًا، أقول أن مهمة الأديب فى الشرق أن يفطن نفسه إلى بيئته أولاً ويشعرها أوفى الشعور بأنه إنما يعيش فى بلاده، فيها يدور الفكر ويجول التصور، ومنها يشتق التخيُّل ويستنزل الإلهام ويكون لنا - نحن المصريين - أدب مصرى، ويكون لسورية أدب سورى ويكون للعراق أدب عراقى، وهكذا، فإذا فرقت بين هذه الآداب بعض العوامل المحلية المختلفة من طبيعة البلاد ومناظرها وتاريخها ونحو ذلك، فلا بأس بهذا، فسيجمعها ذلك الطابع العربى العظيم"[٦٢]. ويقول فى موقع آخر: "على الأديب الشرقى أن يبعث من عواطف قومه كل كمين، ويستخرج من بواطن النفوس كل دفين... فيبعث الأدب الحق، ويبعث الشعور القومى لدينا جميعًا، اللهم أن الأمم العربية لتجد فى السعى إلى تحرير الأوطان، فمتى تسعى إلى تحرير الآداب، فلا يكون للغرب عليها من سلطان!!"[٦٣].

ألم تكن تلك دعوة من البشرى لتعريب الآداب وتعريب جهود تحرير الأوطان، لقد فطن هذا الأديب إلى مشاعر العروبة رغم أن أحدًا من الذين تناولوا سيرته وأدبه لم يتوقف عند هذه الحالة، حتى الذين تناولوا كتابه "قطوف" بالدراسة والنقد تحدثوا عن آرائه فى الحياة المصرية والعادات والتقاليد ولم تستلفت نظرهم هذه المقالات التى تقمص فيها شخصية المجاهد "عمر المختار"، ثم تقمص شخصية الجنرال الإيطالى "جرازيانى" للرد عليه، فها هو البُعد العربى نستشعره من خلال كلمات عمر المختار بقلم البشرى حيث كتب إلى جرازيانى

يُذكره كما يقول:

باليوم الذى جاؤك بىَّ وأنا مقرن فى الأصفاد، فتقدمت إلى حراسك أن يلقونى فى الطيارة، وسرعان ما حلقت بىَّ، تشق أجواز الجو حتى كادت تصك وجه الشمس ثم قُذِف بىَّ من ذلك الحالق قذف النواة لا رحمة ولا شفقة(٦٤).

ولئن عاب أهل الدنيا طياريكم، معشر الطليان، بأنهم لا يحسنون إصابة الأهداف، لقد اضطرب هذا الحكم عليهم بين الجهل والتجنى فطياروكم أحسن الطيارين تسديدًا إلى المرامى وإصابةً للأهداف ما دامت القذيفة شيخًا فى حدود المائة، والهدف ظهر الصحراء(٦٥).

ولعلك أيها الماريشال الشجاع جدًا ساعة تقدمت بإعدامى على تلك الصورة قدرت أنى لن أتعذب أكثر من دقيقة واحدة فإننى كنت أجهل مصيرى، حتى إذا قذفوا بىَّ فى الجو خفق قلبى خفقة أو اثنتين ثم استشعرت صدمة، هل علمت خطرة البرق؟!

ثم لم أدر شيئًا ولم أحس شيئًا، حتى رأيتنى فى الجنة، بين الصديقين والشهداء، وحسُنَ أولئك رفيقًا(٦٦) .

ولعل القارئ يستشعر صِدق كلمات البشرى على لسان المختار، هذا الصدق إن دل على شئ فإنما يدل على منتهى التفاعل والإيمان بقضية هذا المجاهد العجوز.

كما أنه من المُلفِت فى الخطاب أن البشرى قد استخدم الخبر المتواتر أو الشائعة الشعبية التى تذكُر أن المختار قد أُلقى به حيًا من الطائرة، رغم أن الحقيقة أنه أُعدِم شنقًا فى سلوق أمام حشد غفير من الأهالى فى ١٦ سبتمبر ١٩٣١(٦٧).

ويبدو أن البشرى استخدم هذه الرواية الدارجة التى تأتى دائمًا فى سياق الحديث عن سياسة جرازيانى الذى كان بدون شك أكثر القادة خبرة بشئون

المستعمرات، ولكنه كان أيضًا أكثرهم قسوة وصرامة[٦٨].

ومن ذلك استخدامه للطائرات لاكتشاف عدو دائم الحركة خلال أراضى تُعد من أصعب المواقع من حيث وعورتها، كما استخدم الطائرات (كمحاكم طائرة)[٦٩] ، حيث كانت تقوم بإجراء محاكمات بواسطة هيئة محكمة خاصة تتنقل جوًا، حتى أصبح مألوفًا عندما تهبط طائرة فى أى مكان فى المخيمات أن ترتفع هتافات صائحة (المحكمة... المحكمة!!)[٧٠]. وكان جرازيانى فخورًا لابتكاره هذه الفكرة التى كتب عنها فى أوراقه: "بهذه الطريقة تنتقل المحكمة إلى أى مكان فورًا فتهبط العدالة من السماء"[٧١].

غير أن العدالة التى كان جرازيانى يدعيها كانت عدالة قلما تُراعى أصول التحقيق لجمع الأدلة، كما أن وسائل الطعن فى الأحكام التى كانت تصدرها معدومة، لأن الاستئناف لم يُنص عليه أصلاً فى هذه المحكمة الخاصة[٧٢].

كل هذه الأمور كان لها أصداء ترددت لمدة طويلة فى العالم العربى خاصةً فيما يتعلق بتنفيذ أحكامها بالإعدام عن طريق إلقاء المحكوم عليهم من الطائرات، تلك الأصداء التى دفعت البشرى لاستخدام هذه الرواية على لسان المختار.

ولم يُغفِل البشرى أن يوضح فى مقاله طبيعة تيار الجهاد الدينى الذى يُمثله الشيخ عمر المختار، فيقول على لسانه مخاطبًا خصمه الفاشستى عن السيد المسيح متسائلاً:

هناك يا صديقى سؤال يضطرب فى صدرى ولا يجد متنفسًا من جواب: لقد كنت أعلم وأنا من أهل الدنيا، وإزددت يقينًا حين صرت إلى الآخرة، أن السيد المسيح عليه السلام، كان أكبر مظاهر رسالته الرفق والرحمة، والمحبة والسلام، والعفو عمن جنى، والصفح عمن أساء، ولقد كان عليه السلام، أول رسول لم يؤيَّد بمعجزة من عصف أو خسف، أوإغراق أو دمدمة، أو ريح عاصفة، أو رجفة قاصفة، وإنما كان يُبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله[٧٣]. *وليس وراء هذه*

الرحمة رحمة، وليس أبلغ من هذا عطفًا على الإنسان، فهل من الفضائل المسيحية التى تتشدق بها أنت ومعشرك، والتى تزعمون أنكم ما شهرتم هذه الحرب إلا لتسوروها فى العالمين، هل من هذه الفضائل أن تمثلوا بشيخ مثلى هذا التمثيل؟!

لا والله، لقد برئ منكم المسيح الرحيم النبيل، وبرئت منكم الإنجيل!![٧٤].

ناقش البشرى أيضًا أبعاد الفكر الفاشستى فكانت كلماته وهو متقمص شخصية المختار عن رغبة الإيطاليين فى إستعادة ملك الرومان واحتلال أفريقيا، تُمثِّل إدراكًا قويًا من جانب البشرى بالفكرة الاستعمارية التى استبدت بموسولينى الذى استهوته أسطورة البحر الأبيض المتوسط[٧٥] ومقولته: "إنه بحرنا" .More Nostrum[٧٦].

وأيضًا أسطورة أفريقيا التى وجد فيها موسولينى ضالته المنشودة لإثارة مشاعر مواطنيه، مُدعيًا على حد قوله:

"إن القدر هو الذى يدفعنا صوب هذه الأرض والقدر لا يستطيع أيًا كان أن يقف فى طرقه، كما أن أحدًا لا يستطيع أن يُثنى عزيمتنا الجامحة"[٧٥].

ولكن ما فعل الله يا ماريشال بإمبراطورية الرومان؟!

هكذا تساءل المختار أو البشرى، والذى توعد خصمه بعدالة الله الذى يُمهِل ولا يُهمِل وأنه ليُملى للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته.

وها هو عقاب الله ينزل على جرازيانى فيخاطبه المختار قائلاً: لقد بلغ من خذلان الله لكم أن تظل طائراتكم، وهى تُعد بالآلاف، جاثمة فى أفاحيصها(*) التى تُعد بالمئات، فى انتظار الطائرات البريطانية التى تصبحها وتمسيها كل يوم، حتى إذا أصلتها ضربًا أو تمزيقًا، وأوسعتها تدميرًا وتحريقًا، عادت إلى حظائرها وكأنها لم تُعان غزوًا، ولم تلاق عدوًا، أفتُراك يا ماريشال، قد تعهدت للإنجليز بأن تعينهم على تمرين طياريهم فى إصابة وتسديد المرامى، فنثرت لهم الطيارات فى كل مطار، ليتعلموا فيها الرماية فى كل ليل وفى كل نهار؟

ألا خبرنى بعيشك؟ لماذا حشدت كل هذه الجيوش؟ وهى لا تضطلع من أعباء الحرب بأكثر من التسليم! ولماذا أقمت كل تلك الحصون؟ وهى لم تقم بأكثر من تفتيح الأبواب للغازى المُغير! ولم أرصدت كل هاتيك الموبقات الفواتك من آلات الحروب؟ إذ هى لم تصنع أكثر من أن تعد نفسها غنيمة للعدو باردة برود الثلج!

ثم ماذا كنت تصنع أنت، يا ماريشال؟

لم يسمع أحد قط أنك قمت بهجمة، أو تحركت لاتقاء صدمة أو أمددت فيلقًا رق حبله، أو انجدت جيشًا انهد حيله!(٧٨).

صدقنى يا ماريشال - فنحن أهل الجنة لا نكذب أبدًا - صدقنى إذا قلت لك أنك لو كنت ماريشالاً فى رواية مسرحية وجرى فى أحداثها بعض شذا الذى يجرى فى لوبيا، لكان لك من الأثر - فى عالم الحقيقة - أكثر مما رأى العالم منك فى هذه الحرب، إذ لم يكن أقل من أن يصدع الماريشال الممثل كرسيًا، أو يكسر طبقًا أو يُمزِّق، ولو بأسنانه، ستارًا، صدقنى يا ماريشال، إنك لو كان فى موضعك هر لصارع أو حمام لدافع وقارع، أو طفل لنضح، أو جدىّ لنطح!(٧٩).

ولم يفُت البشرى، أو المختار، أن يواجه جرازيانى سند إيطاليا ومعقل آمالها فى ملك روما القديمة بالفشل الذى واجهه حتى وإن نجح فى أسره وإعدامه. وحمَّله فى النهاية تهنئة ساخرة إلى موسولينى قيصر الرومان العظيم!

وجديرٌ بالذِّكر أن خطابات المختار جاءت موقعة كما يلى:

جنة عدن فى ٢ من المحرم عام ١٣٦٠ (٨٠).

وكان على المختار أن ينتظر ردًا من جرازيانى الذى كان المُنَّفِذ المادى لعمليات الإبادة التى نزلت على رؤوس أهل المستعمرة حتى أصبح رمزًا لصلَّف الاستعمار الإيطالى كله، هذا الرجل الذى تظهر عجرفته بكامل عنفها فى وثيقة تتعرض لسيرته الذاتية يرجع تاريخها إلى عام ١٩٣٠، حيث يُنصِّب نفسه كرجل

القدر الذى يرتبط به مصير الأمة الاستعمارى، ويفتخر بكونه وُلِّد من أب لاتينى وأم رومانية، وبأن نزعته كانت ملَّكية منذ طفولته، كما أنه كان فاشيًا منذ ولادته... احتقر الخنوع والانحطاط بأنواعه(٨١).

كما إدعى بأنه وُلِّد رقيق العاطفة، تغلب عليه الرومانتيكية، ورغم ذلك استطاع أن يتحلى بالواقعية بصورة مطلقة، وبعد سنين من الحياة فى الحاميات افتتن بأفريقيا فاستحوذت على مشاعره وحررته من كل خمول ومهرته بما يُميِّزه من طباع وخصائل(٨٢).

هذا التفاخر والتباهى لا نجد له أثرًا فى خطاب جرازيانى، عندما تكشف لقادة الفاشست فى ميادين الحرب والسياسة، تلك الحقائق القاسية، فيصحو جرازيانى على الحقيقة المؤلمة ليتحسر قائلاً:

أما أفريقيا وما أدراك ما أفريقيا! واخيبتاه هى مناط الحلم العظيم.

لقد تكشف لنا نحن قادة الفاشست فى ميادين الحرب والسياسة جميعًا، تلك الحقائق القاسية الأليمة التى منها أننا لم نُخلق لحرب ولا لقتال، فقد طُبعنا على الفن الجميل، فنحن أدق الناس إذا حفرنا أو صورنا، نحن أجود الخلق إذا غنينا أو عزفنا، وأبرع العالمين إذا رقصنا أو قصفنا، وأمهرهم وعدنا فأخلفنا، وما لنا وراء ذلك بالحرب ولا بغير الحرب يدان(٨٣).

على أن الشيطان زيَّن لنا الفتح والاستعمار، ويسَّر لأنفسنا الحرب فى سبيلهما(٨٤).

وهكذا أبرز لنا البشرى مدى فهمه العميق لعقدة الاستعمار التى شكلت عنصرًا متلازمًا للفاشية، الذى امتد ليشمل - بطريقة أو بأخرى - سائر الحركات الفاشية الكبرى والتقليدية حتى الفاشية الايبيرية (الإسبانية)(٨٥).

وبالنسبة للسياسة الإيطالية فقد أصبحت فاشية الروح والطابع تشيد بجرازيانى وبروحه الرومانية للثأر، فيتحدث موسولينى عن برقة الخضراء

بأشجارها، والحمراء بالدم، وهى صيغ بلاغية واستعارة بديعية مُضللة تنُم عن مدى ثِقل الضغط الذى يُمارس على الرأى العام فى إيطاليا(٨٦).

ويمضى البشرى شارحًا على لسان جرازيانى كيفية استعمار ليبيا بقوله:

لقد صبحنا هؤلاء بكل ما عندنا من كل فاتك قاصف، ومُدمدِم عاصف وبكل ما يتطاير بالحمم، ويرمى عزيفه بالصمم، فسرعان ما سلموا واستكانوا، وسرعان ما خضعوا ودانوا، وبعد لأى أطبقنا على طرابلس، ثم لما يليها من صحراء لوبيا، حيث القوم أهل بادية، الشعير طعامهم والخيام مثواهم ومنامهم. وأما مسعدهم من السلاح فظبى السيوف وأسنة الرماح. فإذا كان فى أيدى بعضهم شئ من البنادق القديمة، فمما لا غناء فيه ولا أضحت له قيمة. وأما مركبهم إذا اضطربوا فى صحاريهم، فالإبل المهزولة تحمل معهم متاعهم وزادهم وعُدتهم وعتادهم. لقد أطبقنا على هؤلاء ثم على هؤلاء وصببنا عليهم من النار ما لا يثبت له الحديد المُصفى (الفولاذ) فكيف بالإنسان(٨٧).

وكم هو مذهل أن يكون هذا الشيخ المُعمم على أعلى درجة من درجات فهم المخطط الاستعمارى الفاشى الذى يحلم بأن يُحقق قيام "إيطاليا ما وراء البحار" الاكتفاء الذاتى والتكامل السكانى، فها هو لويجى فيدرزونى - وكان وزيرًا للمستعمرات فى العشرينات - يقول بأن "من أفضل الأعمال التى تم إنجازها بعد "الزحف على روما" كان إعادة احتلال ليبيا فى الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٣١. حيث مثلت أهمية للاستيطان الإيطالى على أرض ليبيا بنقل أعداد ضخمة من عائلات المزارعين الإيطاليين إلى هناك "دفعة واحدة"(٨٨).

فها هو جرازيانى يقول فى خطابه:

ثم رمينا أهل هذه البلاد بكل متعطل فى بلادنا ومن لا يجد فيها إلى القوت سبيلاً، وكلما شام هؤلاء المرتزقة رقعة من الأرض تنطف ولو بالنزر من الماء وتُخرِّج حتى الرقيق من النبات، أجلوا أولئك المساكين عنها ودعوهم إلى بطن الصحراء!!(٨٧).

ولأن البشرى كتب تلك الخطابات بعد عشر سنوات من إعدام المختار، فقد عرض فى خطابه السياسة التى انتهجتها إيطاليا فى المرحلة التالية، فقد خاطب بادليو الجنود فى اليوم التالى لإعدام عمر المختار شنقًا، حاثًا إياهم على عدم التراخى:

(واصلّوا الضرب... والضرب العنيف مادام يوجد عاصى واحد واقفًا على قدميه... فبذلك سينتهى أمر العصيان إلى الأبد فى فترة وجيزة) [٩٠]. فقد كانت روما تنظر منذ اليوم التالى لأحداث عام ١٩٣١ إلى أهداف أخرى وتستعد لبلوغها، وليبيا بالنسبة للأطماع الإمبريالية الفاشية لم تعُد سوى خطوة أولى على سلم برنامج أعظم يتضمن البحر الأبيض المتوسط[٩١].

فيقول جرازيانى فى خطابه:

إذًا فنحن دولة عظيمة، لا تقل عن أعظم دول الأرض فى البأس والسلطان. فليت شعرى لماذا لا ننتضى السيف، ونمضى، على اسم الإمبراطورية الرومانية، غازين فاتحين، ذات الشمال وذات اليمين؟!

تُرى ما الذى يعوزنا لنكون كذلك؟ وهذه جيوشنا المُدرَّبة على خير الأساليب العسكرية، تُعد بالملايين، وقد زودت بأكفى الأسلحة وأمضاها فى الحروب الحديثة. وهذه طياراتنا إن شئنا حجبنا بها وجه الشمس عن العالم، وهذه أساطيلنا تُغطى ثلج البحار، غادية رائحة حتى أضحى البحر المتوسط بفضلها، بحيرة إيطالية، لا يدافعنا عن سلطاننا فيها إنسى ولا جان(٩٢).

أما باقى الحلم الرومانى فقد عُقِّد الأمل فى تحقيقه بسيف داعيكم جرازيانى وعسكره الذى لم يتهيأ مثله عُدةً ولا عددًا لا للإسكندر الأكبر، ولا لهانيبال، ولا لبونابرت[٩٣].

إذًا فلنفتح مصر حالاً، ولنسلك منها فورًا إلى السودان، والملتقى مع دوق داوست فى حدود الحبشة بمشيئة الدوتشى لا بمشيئة الله[٩٤].

هذا الصلَّف والتجبُّر والغرور سرعان ما انهار فقد تبخر حلم غلاة الوطنيين فى أن يحقق قيام "إيطاليا ما وراء البحار" حلاً لمشاكلها وفى نهاية هذا التسابُق المحموم الطويل، لم يتبق لهم إلا الحسرة على عدم التوقف فى الوقت المناسب، خاصةً وأن الاستعدادات الدفاعية والعسكرية فى برقة بالذات قد اتضح إبان الحرب العالمية الثانية ضعفها وعدم قدرتها على الصمود وصد هجمات القوات المُعادية[٩٥].

وإذا كان ما تقدم تقييم لواحد من المتخصصين بدراسة المد الفاشى فى شمال أفريقيا، فإننا نرى صداه واضحًا فى ذهن البشرى حيث يتمثل جرازيانى قائلاً:

فأما شمالها، فهذه لوبيا قد طارت، وهذه بنى غازى قد طاحت، وهذا طريق النصر الذى عبدناه لاجتياح مصر، لقد أضحى لنا طريق الهزيمة والفرار! وربما سلمت طرابلس قبل أن يصل إليك هذا الكتاب، وأما ملكنا الكبير فى إريتريا[٩٦] والحبشة والصومال فقد تمزق ملكنا فيه شر تمزيق!!

أرأيت، يا سيدى المختار، أن الحلم الرومانى إنما كان حقًا؟ على أننا نهب اليوم من نومتنا تيك أهوَّل هبوب!

تقول لىَّ فى كتابك: أنك لو كنت ماريشالاً فى رواية تمثيلية، لكسرت على الأقل طبقًا، أو صدعت كرسيًا، أو قرضت بأسنانك ستارًا، ألا فأعلم، يا سيدى، أن الله قد عقد لسانى فى هذه الحرب ورمى يدى بالشلل. وهيهات الفعل أو القول لأشل اليد معقود اللسان!

ثم يُشهِد البشرى جرازيانى على نفسه بقوله:

وأخيرًا، فإذا كانت هذه الأهوال الكارثة قد علمتنا، نحن معشر الفاشيست، شيئًا فقد علمتنا شيئًا واحدًا، هو أن الحرب ليست جيوشًا تزم الأفق، ولو زُوِّدَت بجميع الفواتك المهلكات، من مدافع وبنادق ودبابات، ولا هى أساطيل تزحم

نواصى البحار، ولا هى طيارات تسد جو السماء. إنما الحرب أولاً وأخر هى ... رجال!![٩٧].

وختم جرازيانى خطابه بسؤاله عمر المختار: تلك بأنكم أهل دار سؤالهم مقضى، ودعاؤهم مستجاب. فأدع ربك أن يقبضنى ولكن على فراشى، فإننى لا أرى من العدل أن أموت كما يموت الجندى فى ميدان القتال!!

وكما أعتدنا من البشرى لا تخلو كتاباته من طرافة، فقد ختم خطاب جرازيانى بمخاطبة الأخير عمر المختار قائلاً:

وإذا تفضلت وكتبت إلىّ فعنوانى الجديد:

وادى لظى - جهنم

يُحفظ بشباك البوستة

١٧ يناير ١٩٤١[٩٨]

وإذا كان البشرى قد عبَّر بمقالاته عن صِدق إيمانه بقضية المجاهدين الليبيين، وأظهر إعجابه بشخصية المختار، فإنه ألمح أيضًا إلى اعتقاد جرازيانى ببطولة وصِدق عدوه.

ولم يكن ذلك من قبيل المبالغة الأدبية أو المشاعر الجياشة التى شعر بها تجاه المختار، فإنه مع قراءة تقارير الجنرال، لا يصعُب على المرء ملاحظة ما يكنه للمجاهد العجوز من شعور معقد جدًا.

فقد ظل جرازيانى يتساءل: لماذا يواصل أفراد المقاومة صمودهم، ويطرح السؤال على نفسه ليرد عليه بقوله: "أن عمر المختار لن يستلم أبدًا فهو فى وضع يُمكنه من الهروب، فالثائر العجوز يُفلت دائمًا بجلدته، وسوف يقاوم دون أن يفقد الأمل، ليس فى تحقيق انتصار يرفع من وضعه المادى والمعنوى، بل فى الله لإيمانه بقضاء الله وقدره ككل المسلمين[٩٧].

وفى تقرير آخر وصفه بأنه "كان موهوبًا، يتقد ذكاء وسرعة بديهة، كان غزير المعرفة بالدين، ويتمتع بالنشاط والصرامة، عاش فقيرًا، ورِّعًا، ومتمسكًا بدينه"(١٠٠).

وهكذا يمكن تفسير هذا الشعور المُعقد بأنه شعور يمتزج فيه الحقد بالاعجاب، والاحتقار للبدوى بالحسد لما لقيه هذا المناضل من إجلال وإكبار فى كافة أنحاء العالم الإسلامى.

الهوية والانتماء

وأخيرًا فإن قراءة البشرى فى تلك المرحلة الثرية بحركات التحرر العربى تجعلنا نعترف بحقيقة أن فترة منتصف الثلاثينات حتى نهايتها مثلَّت فترة التحول وظهور البُعد العربى واضحًا.

وإذا كان البعض يرى أن الإسلام كان إحدى الوسائط التى حملت مصر نحو علاقات أوثق مع شقيقاتها العربيات، إلا أنه من المنطقى أيضًا أن مصر قد شعرت بحريتها فى إتباع سياسة خارجية أكثر استقلالاً بعد إبرام معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا، وكان التقارب مع العرب آنئذ واحدًا من عدد من المسالك البديلة المتعددة المنفتحة أمامها(١٠١).

وإذا كان أحمد لطفى السيد قد كتب فى الجريدة عام ١٩١٣ أننا "نحن المصريين نُحب بلادنا ولا نقبل مطلقًا أن ننتسب إلى وطن غير مصر مهما كانت أصولنا حجازية أو تركية"(١٠٢). فإنه بات واضحًا بعد معاهدة ١٩٣٦ أنه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية المصرية والقومية العربية(١٠٣).

إذًا فهى الرجعة فى رحلة البحث عن الانتماء والهوية، من التحديق عبر المتوسط نحو "الذات الأخرى" الغربية المتفوقة ومحاولة التطابق معها فى الهوية، إلى مد البصر عبر سيناء نحو انتماء العروبة والإسلام بإتجاه إعادة اكتشاف الذات (أو النحن) المتأصلة الراسخة(١٠٤).

ولا يمكن إغفال أن اضطرابات العرب وثوراتهم المتكررة فى هذه الفترة كان لها الأثر الكبير الحاسم فى الرأى العام المصرى الذى أسهم فى نمو المنظمات العربية وتزايُد قوتها(١٠٥).

غير أنه من المؤكد أن القادة السياسيين لم يكونوا البادئين الحقيقيين بسياسة مصر العربية، فقد استجابوا فقط للضغوط التى أصبح تجاهُلها متعذرًا(١٠٦).

ومن الممكن إقتفاء أصول هذا التيار فى ظهور المثقفين الذين نشروا آراء اقتنع بها السياسيون فيما بعد، أو أُرغِموا على تأييدها.

وكان أولئك الذين شغلوا أنفسهم بالثقافة، ومنهم عبد العزيز البشرى، هم أوائل من أكدوا على ضروره إحياء اللغة العربية وتطويرها إلى ما يتلائم وحضارة العصر الحديث(١٠٧).

وهكذا فإن الحدة الجدلية التى طُرِّحت بها مسألة العروبة فى الثقافة المصرية منذ أوائل الثلاثينات، دلت على أن هذه المسألة كانت مسألة هوية مصيرية وانتماء كيانى لابد من حسمها.

الهوامش

(١) شارك البشرى فى قضية العمامة والطربوش والرغبة فى التجديد من قبل أساتذة اللغة العربية الذين تطربشوا رغم أن التقاليد كانت تأبى على أستاذ العلوم الدينية واللغة العربية أن يتزيا بهذا الزى الإفرنجى. انظر: أنور الجندى: الشرق فى فجر اليقظة (صورة اجتماعية للعصر من ١٨٧١- ١٩٣٩)، الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.، ص ص ١٦٠- ١٦١ .

(٢) جمال الدين الرمادى: من أعلام الأدب المعاصر، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٦٤ .

(٣) آرثر جولد شميت: قاموس تراجم مصر الحديث، ترجمة: عبد الوهاب بكر، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣ .

(٤) خير الدين الزركلى: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، جـ٤، بيروت، د. ت، ص ١٨ .

(٥) انظر: عبد العزيز البشرى: التربية الوطنية القاهرة، ١٩٢٨.

(٦) محمد عبد المنعم خفاجى: قصة الأدب فى مصر، جـ٥، طـ١، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٤٣ .

(٧) جمال الدين الرمادى: المرجع السابق، مجلد ٤، ص ص ٢٣٧، ٢٣٨ .

(*) مما يُذكر للبشرى أنه استوقفه ذات يوم أحد أبناء الريف فى الطريق وقدم إليه ورقة فيها عنوان، وطلب من الشيخ أن يدله عليه. ولكن البشرى وجد أن الخط ردئ بدرجة يصعُب معها أن يتعرف على تفاصيل العنوان وهنا أعاد الورقة إلى الفلاح قائلاً: "والله يا بنى أنا مش قادر أقرأ العنوان". فإذا بالفلاح يصيح فى وجهه غاضبًا: أُمال بس لابس عمة وموش عارف تقرأ؟! لوكان أى إنسان فى موقف الشيخ البشرى لغضب من هذا الموقف، أو ربما انصرف صامتًا ولكن البشرى رفع العمامة من فوق رأسه ووضعها فوق رأس الفلاح وهو يقول له: اتفضل أنت اقرأ بقى. (أحمد زكى عبد الحليم: الشيخ عبد العزيز البشرى .. ساخرًا، مجلة الهلال، ثقافية شهرية، فبراير٢٠٠٦، ص ١٦٩)؛ كما قيل أن البشرى عندما كان طالبًا فى الأزهر ذهب يومًا إلى بائع ليشترى غذاءه، ولم يكن معه إلا خمسة مليمات وهى لا تكفى إلا لشراء رغيف من الخبز، وعز على البشرى أن يأكل الرغيف دون آدام فاعطى البائع المليمات الخمسة وقال: اعطنى رغيف خبز. ومد الرجل يده بالرغيف وتعمد البشرى أن يفلته عند تناوله فسقط الرغيف فى وعاء مكشوف فيه سلطة لبن، فأراد البائع أن يُبدله له بغيره ولكنه قال له: "معلهش... معلهش أكله كده." وهكذا فاز البشرى بغموس دون ثمن. (جمال الدين الرمادى: صحافة الفكاهة وصانعوها، مذاهب وشخصيات، العدد٤٥، القاهرة،١٩٦٣، ص ٧٣) .

(٨) لمزيد من التفصيل حول الفكاهة فى الأدب كرسالة اجتماعية انظر: عوض الغبارى:

السخرية فى أدب الشيخ عبد العزيز البشرى، النقد الأدبى واتجاهات التفكير المعاصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، فرع بنى سويف، أبحاث المؤتمر العلمى الأول لقسم اللغة العربية، ٢٠٠٤ .

(٩) جمال الدين الرمادى: أدب البشرى، القاهرة، د. ت، ص ١٠٩ .

(١٠) محمد نبيه حجاب: عبد العزيز البشرى، الأديب الساخر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٠ .

(١١) لمزيد من التفصيل حول النكتة والكاريكاتير انظر: الفكاهة وآليات النقد الاجتماعى، تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة،٢٠٠٤، ص ص ٥٠- ٦٣ .

(١٢) جمال الدين الرمادى: من أعلام الأدب...، مرجع سابق، ص ٧٠ .

(١٣) الكاريكاتير، جذوره تاريخية، الفكاهة وآليات النقد الاجتماعى...، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(١٤) نقولا زيادة: تاريخ ليبيا الحديث، القاهرة، ١٩٥٨، ص١١١ .

(١٥) عبد الله عبد الرازق: مصر وحركات التحرر الوطنى فى شمال أفريقيا، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، مصر النهضة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٠٩ .

(١٦) زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٠٦ .

(١٧) قدرى قلعجى: ثمانية من أبطال الحرب، بيروت، ١٩٨٥، ص ٦٠ .

(١٨) عقيل برباز وآخرون: دراسات فى التاريخ الليبى (١٩١١- ١٩٤٣)، جـ٢، ص ٢٥٥ .

(١٩) أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى، جـ٤، طـ٧، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٨٦ .

(٢٠) مجيد خدورى: ليبيا الحديثة، ترجمة: نقولا زيادة؛ ناصر الدين الأسد، بيروت، ١٩٦٦، ص ص ٢١٩- ٢٢٠ .

(٢١) من هذه المراسيم مرسوم ١٧ أكتوبر ١٩١٢ الذى طلبت فيه إيطاليا من الليبيين قبول الحكم الإيطالى مع احتفاظهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية، المختار الطاهر كرفاع: الحركة العمالية فى ليبيا ١٩٤٣- ١٩٦٩، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية الليبية، ٢٠٠٠، ص ص ٢٠-٢١ .

(٢٢) أينزو سانتاريللى: الفلسفة وراء إعادة احتلال ليبيا (١٩٢٢- ١٩٣١) عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشى لليبيا، ترجمة: عبد الرحمن العجيل، تقديم: عقيل برباز، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، سلسلة الدراسات المترجمة، الجماهيرية الليبية، ١٩٨٨، ص ٤٠ .

(٢٣) نفسه، ص٤٩ .

(٢٤) رودولفو جرازيانى: إعادة السلام إلى برقة، ميلانو، ١٩٣٢، وصدرت ترجمة لهذا الكتاب باللغة العربية بعنوان: "برقة الهادئة" انظر سانتاريللى: المرجع السابق، ص ٥١ .

(٢٥) نفسه، ص ٥٥ .

(٢٦) نفسه، ص ٥٦ .

(٢٧) المرجع السابق، ص ٥٧ .

(٢٨) نفسه.

(٢٩) تقرير من جراتزيانى إلى بادوليو، المحفوظات التاريخية وزارة أفريقيا الإيطالية، انظر: جورجوروشا: قمع المقاومة فى برقة ١٩٢٧- ١٩٣١، عمر المختار، منشورات مركز جهاد الليبيين، د. ت، ص ١٩٥ .

(٣٠) قدرى قلعجى: نفس المرجع، ص ٦٢ .

(٣١) نفسه، ص ٦٣ .

(٣٢) عقيل برىار: دراسات فى التاريخ الليبى، مرجع سابق، ص ٢٢٨ .

(٣٣) حسن علىّ خشيم: صفحات من جهادنا الوطنى، ط١، ١٩٧٢، ص ٧٢ .

(٣٤) لمزيد من التفصيل انظر: جورجو روشا: العمليات فوق الجبل، عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشى لليبيا، ص ص ٧٠، ٨٥ .

(٣٥) حسن علىّ خشيم: المرجع السابق، ص ٦٥ .

(٣٦) قدرى قلعجى: نفس المرجع، ص ٧٨؛ نقولا زيادة: نفس المرجع، ص ١١١ .

(٣٧) نفسه ، ص ٨٠ .

(٣٨) عقيل برىار: إعادة الاحتلال الفاشى لليبيا، ص ٢٩٨ .

(٣٩) جمال زكريا قاسم: موقف مصر من الحرب الإيطالية الليبية ١٩١١- ١٩١٤، كتاب ليبيا فى التاريخ، الجامعة الليبية، ص ٣٣٧ .

(٤٠) محمد فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٤٣ . ولمزيد من التفصيل حول موقف الحركة الوطنية المصرية من الاستعمار الغربى للمغرب انظر: يونان لبيب رزق؛ محمد مزيَّن: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، تاريخ المصريين، العدد٣٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠ .

(٤١) عبد اللّه عبد الرازق: المرجع السابق، ص ١٢١ .

(٤٢) جمال زكريا: المرجع السابق، ص ٣٣٨ .

(٤٣) أحمد شفيق: حوليات مصر السياسية، الحولية الأولى ١٩٢٤، ط١، القاهرة، ١٩٢٨، ص ص ٦٩- ٧٠ .

(٤٤) محسن محمد: سرقة واحة مصرية، القاهرة، ١٩٨٠، ص ص ١٥، ٣٥ .

(٤٥) لمزيد من التفصيل انظر: محمد الطيب الأشهب: برقة العربية أمس واليوم، القاهرة، ١٩٤٨؛ عبد الله عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٣٩٠ . ولمزيد من التفصيل حول مسألة الحدود الغربية واقتراحات لحل أزمة الجغبوب، انظر: أحمد شفيق: حوليات

مصر..، مرجع سابق، الحولية الثانية ١٩٢٥، ص ص ٤٦٣- ٤٦٥ .

(٤٦) جورجو روشا: نفس المرجع، ص ١٩٩؛ شوقى الجمل: دور مصر فى أفريقيا فى العصر الحديث، القاهرة،١٩٨٤، ص ٣٩١ .

(٤٧) عبد الله عبد الرازق: المرجع السابق، ص ١٤١ .

(٤٨) الطيب الأشهب: المرجع السابق، ص ص ٢٨٣- ٢٨٤ .

(٤٩) جلال يحيى: تاريخ المغرب الكبير، القاهرة، ١٩٨١، ص ٦٦٧ .

(٥٠) محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، جـ١، القاهرة، ص ص ٣٥ - ٣٦ .

(٥١) عبد الله عبد الرازق: نفس المرجع السابق، ص ص ١٤١، ١٤٢؛ لمزيد من التفصيل عن الحروب على حدود مصر، انظر: محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية، جـ٢، من ٢٩ يوليو ١٩٣٧ إلى ٢٦ يوليو ١٩٥٢، طـ٢، القاهرة، ص ص ١٥٨- ١٦٧ .

(٥٢) عبد الله عبد الرازق: المرجع السابق، ص ١٤٥ .

(٥٣) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣٩٢ .

(*) أى المختار.

(٥٤) الاحتلال الفاشى لليبيا، ص ص ٢٩٧- ٢٩٨ .

(٥٥) محمد جابر الأنصارى: تحولات الفكر والسياسة بمصر ومحيطها العربى، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١١٦ .

(٥٦) نفسه، ص ١١٧ .

(٥٧) محمد عمارة: العرب يستيقظون، فجر اليقظة العربية، ط ٣، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٤٤ .

(٥٨) جورج انطونيوس: يقظة العرب، ص ٧٥ .

(٥٩) محمد عفيفى: دراسات فى تاريخ الفكر المصرى، الجذور التاريخية للفكرة المتوسطية فى مصر، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٨ .

(٦٠) محمد جابر الأنصارى: تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى ١٩٣٠- ١٩٧٠، عالم المعرفة، العدد ٣٥، الكويت، ١٩٨٠، ص ص ٢٥، ٢٦ .

(٦١) شوقى ضيف: الأدب العربى المعاصر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٦٤ .

(٦٢) محمد عبد المنعم خفاجى: نفس المرجع السابق، ص ٥٤ .

(٦٣) نفسه، ص ٥٥ .

(٦٤) عبد العزيز البشرى: قطوف، تقديم: طه حسين، كتاب مفتوح من عمر المختار إلى الماريشال جرازيانى ، القاهرة، ١٩٩٨ ، ص ٦٥ .

(٦٥) نفسه، ص ٦٦ .

(٦٦) نفسه، ص٦٧ .

(٦٧) قدرى قلعجى: المرجع السابق، ص ٨٣؛ زاهية قدورة: المرجع السابق: ص ٤٣٩ .

(٦٨) عقيل بربار: عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشى...، مرجع سابق، ص ٤٩ .
(٦٩) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣٧٦ .
(٧٠) جورجو روشا: المرجع السابق، ص ١٩٨ .
(٧١) جرازيانى: عودة السلام إلى برقة، مرجع سابق، ص ١٥١ .
(٧٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣٧٦ .
(٧٣) البشرى: قطوف، مرجع سابق، ص ٦٧ .
(٧٤) نفسه، ص ٦٨ .
(٧٥) محمد رفعت: تاريخ حوض البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣٢١ .
(٧٦) سانتاريللى: المرجع السابق، ص ٣٨ .
(٧٧) نفسه، ص ٤٠ .
(*) المقصود بها هنا حظائر الطائرات.
(٧٨) البشرى: المرجع السابق، ص ٧٠ .
(٧٩) نفسه، ص ٧١ .
(٨٠) نفسه.
(٨١) سانتاريللى: المرجع السابق، ص٥٠ .
(٨٢) نفسه، ص٥١ .
(٨٣) البشرى: المرجع السابق، ص ٧٤ .
(٨٤) نفسه، ص ص ٧٣، ٧٤ .
(٨٥) سانتاريللى: المرجع السابق، ص ٢٦ .
(٨٦) نفسه، ص ٥٢ .
(٨٧) البشرى: المرجع السابق، ص ص ٧٤، ٧٥ .
(٨٨) سانتاريللى: المرجع السابق، ص ٢٥ .
(٨٩) البشرى: المرجع السابق، ص ٧٥ .
(٩٠) نقلاً عن خطاب بادوليو، باولو مالنيزى: أرض الميعاد، ميلانو، ١٩٦٨؛ سانتاريللى: المرجع السابق، ص ٥٢ .
(٩١) نفسه، ص ٥٥ .
(٩٢) البشرى: المرجع السابق، ص ٧٦ .
(٩٣) نفسه، ص ٧٧ .
(٩٤) نفسه، ص ٧٨ .
(٩٥) سانتاريللى: المرجع السابق، ص ٥٥ .
(٩٦) البشرى: المرجع السابق، ص ٧٨ .

(٩٧) نفسه، ص ٧٩ .
(٩٨) البشري: المرجع السابق، ص ٨٠ .
(٩٩) جورجو روشا: المرجع السابق، ص ٢٠٨ .
(١٠٠) سانتاريللى: المرجع السابق، ص ٥٣ .
(١٠١) محمد جابر الأنصارى: تحولات الفكر والسياسة بمصر، مرجع سابق، ص ١١٨ .
(١٠٢) أحمد لطفى السيد: مصريتنا، يوليو ١٩١٣ .
(١٠٣) جمال عبد الناصر: الميثاق الوطنى، مايو ١٩٦٢؛ الأنصارى: تحولات الفكر والسياسة فى الشرق، مرجع سابق، ص ٩٦ .
(١٠٤) نقلاً عن الميثاق الوطنى؛ المرجع السابق، ص ٩٦ .

تبنى فكرة البُعد العربى المفكر الأنصارى الذى تساءل هل هى صدفة أن يتبلور تنظيم الضباط الأحرار والجيش المصرى متجه إلى فلسطين عبر سيناء (ومتراجع عنها) عام ١٩٤٨، وأن يُحقق جيل الثورة أكبر نصر استراتيجى له على مشارف سيناء بتأميم القنال ورد الحملة الغازية القادمة من الغرب عبر المتوسط فى ١٩٥٦؟ وأن تمد مصر يدها إلى سوريا ١٩٥٨ عبر هذه الصحراء ورغم العقبات القائمة وراءها (إسرائيل) بل تحديًا لها؟ وأن يتلقى جيل الثورة أكبر هزيمة فى حياته فى صحراء سيناء وأن ينبه جيشه فيها تحت لهب حارق؟ كى لا يجرؤ جيل مصرى آخر على هذا التطلع الخطير عبر سيناء، وأن تشن مصر حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتعبُر على سيناء ولو عشرة أميال؟؟

الأنصارى: تحولات الفكر فى الشرق، مرجع سابق، ص ص ٩٧، ٩٨ .

(١٠٥) الأنصارى: تحولات الفكر بمصر، مرجع سابق، ص ١١٨ .
(١٠٦) نفسه، ص ١١٩ .
(١٠٧) نفسه.